

الذكرى 32 لرحيل صوت الأصالة داخل حسن

(الزمان) تستذكر مسيرة رمز الأغنية الريفية

فائز جواد

بغداد

(الزمان) ووفاء منها لهؤلاء المبدعين من الرموز الفنية والثقافية والقامات الكبيرة التي اثرت الساحة الفنية بأبداعات مازالت وستبقى شاهداً عياناً للأجيال القادمة على اصالة الفن والثقافة العراقية تستذكر اليوم محطات مهمة للراحل الكبير داخل حسن بمناسبة ذكرى رحيله 32 فبقي مثل تلك الأيام التي ودعنا فيه صوت الجنوب داخل حسن الى جوار ربه في العام 1985 وأن اختلفت الآراء والمذونات عن يوم رحيله لكنها هي الأيام التي رحل فيها داخل حسن في العام المذكور لتبقى اعماله ومنجزاته حاضرة وتجدد الي يومنا هذا ، بعد الغناء الريفي اجمل من صيغ الغناء الشعبي العراقي من حيث ادائه وطرقه وما احتواه من معانٍ عبرت عن معاناة الشعب العراقي في افراحه واتراحه، ولذلك فإن هذا النمط من الفن يعد اهم ركيزة من ركائز التراث الشعبي، ولسنا بصدد تاريخ هذا الغناء اذ أن مدلولاته التوثيقية تدلنا بان هذا الغناء يحدد خلفية تراثية عاشها ريف العراق منذ مئات السنين، بحيث ان هذا الريف واهله ما زالوا منتسبين بهذا النوع من الغناء حتى وقتنا الحاضر فلذلك يعد هذا الغناء له مداخلات شمولية ذات فائدة عامة يجسد بها ابناء الشعب حاجاتهم الضرورية مهما تباينت اهدافها ورماميتها وحيث ان بقائه وتطوره لا زال مستمرا فإنه يدل على حالة صحية لهذا النوع من الغناء الذي اشتهر في العراق ونسجت عليه البعض من البلاد العربية، ان نشأة هذا الغناء حسبما عرفنا عنه غير محددة بمكان او زمان نشأت منذ نشأة الريف العراقي وبرزت معاناة اهل هذا الريف في حياتهم اليومية ونحن ان نقول

ذلك لا نعني جمود هذا الغناء حيث تطور حسب تطور الظروف واصيقت على اطواره القديمة لمسات جديدة من بعض مطربيه مما يدل على ان هذا الغناء خصب بتطور مع تطور الزمان، علماً بان بعض الاطوار من هذا الغناء قد انقرضت لعدم تلميتها لرغبة الجمهور وهذا ايضاً دليل على ان هذا الغناء يعيش معاناة الشعب وقد اثر فيه كما تاجر به. ومن هنا ظهرت الاطوار المتعددة لهذا الغناء انطلاقاً من المدارس الريفية التي نشأ فيها ومروراً بتنقلاته وتفاعلاته مع الغناء الحضري هذه الاطوار تعتبر هي الاخرى نمطاً من انماط الاجتهاد الفني الغنائي، ومن الاصوات الغنائية الريفية التي ابدعت في اداء مختلف اطوار الغناء الريفي الفنان الراحل داخل حسن.ولد الفنان داخل حسن في مدينة الناصرية قضاء الشطرة عام 1912 وكان منذ طفولته يتردد على مجالس الطرب التي كان يحضرها اكبر المطربين امثال محبوب العبد وهو في الثانية عشر من العمر اي في سنة 1924 مع هذا فقد كان على صلة كبيرة مع الفنانين الريفي الراحل حضيري ابو عزيز في احياء الحفلات الغنائية لذلك كانت علاقة الفن قوية بينهما لاسيما الحفلات الغنائية في مجالس الطرب الريفي المعروفة هناك. وفي عام 1927 دخل مسلك الشرطة ومع ذلك فقد كان يقوم باحياء الحفلات الغنائية التي زادت من شهرته في عالم الطرب حيث كان

يمتاز بصوت شجي جميل، وفي عام 1936 وعند تأسيس دار الاذاعة العراقية كان المطرب داخل حسن من المطربين الاوائل الذين غنوا من خلالها خاصة اغنية (انه غريب بهالبلد) مع مجموعة اخرى من الاغاني الريفية الجميلة، وقد سجل المطرب داخل حسن مجموعة كبيرة من الاغاني لاذاعة بغداد بعد افتتاحها وما زالت مكتبة الاشرطة الاذاعية تحتفظ باغانيه ومنها (يا قلبي صبراً)، واغنية (تنشد اشويك الناس) وعدد كبير من البسات الغنائية والابوذيات، كما ان المطرب الراحل داخل حسن غنى في مقاهي بغداد قبل دخوله الاذاعة لاسيما في مقهى (جمعة شيعي) وعاصر العديد من المطربين في ذلك الوقت مما زاد في شهرته في عالم الغناء الريفي وحسب ما تشير بعض المصادر الفنية فإن المطرب داخل حسن كان يعزف باغنية (بمه يامه) حيث له ذكريات خاصة مع هذه الاغنية اضافة الى ذلك فقد سجل العديد من الاسطوانات الغنائية واجاد غناء جميع الاطوار الابدوية وبعض الانغام الاخرى. رحل الفنان داخل حسن عام 1985 تاركاً الكثير من الاغاني الريفية الجميلة التي تعتبر الآن تراثاً خالداً في هذا اللون من الغناء الريفي العراقي الاصيل.

داخل حسن وام كلثوم
التقى داخل حسن مع ام كلثوم في حلب اثناء تسجيله لإحدى الاسطوانات اسمعت صوته واعجبت به كثيراً وبعته إلى القاهرة ليغني هناك ولكنه اعتذر لها قائلاً: (يا ست الله ايخليج أنه في بغداد كوة امدرج لهجتي بالله تيرديني اغني بالقاهرة اشلون اوبره وياهم) فضحكت ام كلثوم وقدمت له هدية عبارة عن قطعة من الملابس إلى زوجته وقدم لها شالاً ظلت محتفظة به الى ان توفيت.

داخل حسن في ايران
الاهواز حضر داخل حسن الى الاهواز بدعوه من الشيخ صوكر عنافجه. حضر الفنان داخل حسن مع الفنانة ريم محمود في

هذا الحفل البهيج. لقد احل الراحل داخل حسن عام 1978 الى التسقاسد وعاد إلى الناصرية وظل فيها بين اهله وذويه ومحبيه حتى عام 1985 حيث أعلن فيها عن وفاته وقد اذيع الخبر عبر اذاعة بغداد واعد وقتها قسم الغناء الريفي في الاذاعة برنامجاً خاصاً عن الراحل داخل حسن مجموعة كبيرة من الاغاني لاذاعة بغداد بعد افتتاحها وما زالت مكتبة الاشرطة الاذاعية تحتفظ باغانيه ومنها (يا قلبي صبراً)، واغنية (تنشد اشويك الناس) وعدد كبير من البسات الغنائية والابوذيات، كما ان المطرب الراحل داخل حسن غنى في مقاهي بغداد قبل دخوله الاذاعة لاسيما في مقهى (جمعة شيعي) وعاصر العديد من المطربين في ذلك الوقت مما زاد في شهرته في عالم الغناء الريفي وحسب ما تشير بعض المصادر الفنية فإن المطرب داخل حسن كان يعزف باغنية (بمه يامه) حيث له ذكريات خاصة مع هذه الاغنية اضافة الى ذلك فقد سجل العديد من الاسطوانات الغنائية واجاد غناء جميع الاطوار الابدوية وبعض الانغام الاخرى. رحل الفنان داخل حسن عام 1985 تاركاً الكثير من الاغاني الريفية الجميلة التي تعتبر الآن تراثاً خالداً في هذا اللون من الغناء الريفي العراقي الاصيل.

داخل حسن وام كلثوم
التقى داخل حسن مع ام كلثوم في حلب اثناء تسجيله لإحدى الاسطوانات اسمعت صوته واعجبت به كثيراً وبعته إلى القاهرة ليغني هناك ولكنه اعتذر لها قائلاً: (يا ست الله ايخليج أنه في بغداد كوة امدرج لهجتي بالله تيرديني اغني بالقاهرة اشلون اوبره وياهم) فضحكت ام كلثوم وقدمت له هدية عبارة عن قطعة من الملابس إلى زوجته وقدم لها شالاً ظلت محتفظة به الى ان توفيت.

المطرب الذي ابكى النساء
اجتمعت النسوة في بيت احداهن وخيم الوجود على الجميع، وضعت كل واحدة منهن منديلها وغطت وجهها مبهتة بالبكاء والتحجب فكانهن في مجلس عزاء، لم يكن هنالك أي حادث حزين يعكر صفو الحاضرات ويشيع في المنزل أجواء الحسرة والألم، بل كان الصمت يخيم عليهن وهن ينصتن إلى صوت شجي متهدج ينبعث من مذياع وسط الغرفة فكانت نبراتة الحزينة تبعث فيهن الرغبة في مواصلة البكاء وذرف الدموع الغزيرة. إنه المطرب الراحل داخل حسن الذي أبكى النساء بصوته الرخيم الخفيف للشجن، فكن يتفعلن مع ابوذياته وتواوهاتة وخاصة عندما تتصاعد عنده نبرة الحزن العميق يطلق صرخته المتعانة (على الآه عودتج يروحج) فيتشدت بكأوهن وتخضل متدابلهن بالدموع ولا ينقطع نحيبهن حتى ينهي حالة

الشجن العاطفي وينتقل إلى الأغنية التي تعقب ابوذياته الحزينة الباكية. لقد احتل المطرب الشعبي داخل حسن مساحة واسعة في الغناء العراقي، وأصبح قطعاً مهماً من أقطابه البارزين وشكل مع الطويل للراحل ونبقى دائماً نتطلع من اذاعتنا المحلية ان تقدم للمستمعين برامج خاصة عن مشوار الراحل وفاء لما قدمه خلال مسيرته الفنية والإبداعية الطويلة.

جزءاً مهماً من تراثنا الشعبي الأصيل وردتها أصوات غنائية متعددة فكانت أغنية (عالولف ساهر دوم) قطعة فنية رائعة مشحونة بأرق الأحاسيس رددتها المطربة وحيدة خليل بإبداع جمالي وعاطفي ساحر وحلقت فيها بأجواء الطرب العراقي الجميل، لقد إنتزع المطرب الراحل داخل حسن قلوب عشاق فنه من خلال نبراته الصوتية الحزينة والمنفجعة مما جعل قلوب مستمعيه تنجذب إليه، فهو ينقر على أوتار القلوب ويثير فيها لوعة الحب والألم الحزين وعندما يتهدج صوته الحزين باغنيته الملتاعة (بمه يا بيه) نحس بأنه يخاطب كل الأمهات الغاليات بانين وحزين صادقين بحيث لا يملك من يتعاضى معها أن يحس دموعه المنهالة في هذا المشهد المخير والمنفجع.

مقهي القناديل
تعرفت على المطرب الراحل داخل حسن منتصف ستينات القرن الماضي بواسطة الصديق الشاعر الشعبي جاسم الأوسي في مقهى القناديل بالصالحية حيث كانت ملتقانا الدائم قبل أن اتحول إلى مقهى عارف آغا في الحيدرخانة، فكانت القناديل بيناتها القديمة القريبة من الأذاعة العراقية ملتقى الشعراء والفنانين قبل أن تتحول إلى عمارة عالية فغابت عن الأنظار تلك الواحة الجميلة التي احتضنت ذكرياتنا في كل ركن من أركانها، فقد كانت تتكون من صالة داخلية كبيرة مزينة جدرانها بصور المطربة الراحلة أم كلثوم وأمام الصالة ساحة كبيرة مكشوفة لجلوس الزبائن فكان المطرب داخل حسن يتردد على هذا المقهى والموسيقيين وذات مرة أهديته

كانت ومازالت روائع المطرب الراحل داخل حسن حاضرة الى يومنا هذا ومازال صوته واغانيه يرددوا غالبية مطربي الريف من الرواد والشباب الى جانب طبعها على الاقراص الليزرية التي لاقت اقبالكبيراً من قبل الجمهور من عشاق الاغنية العراقية الاصلية والالحن الريفية التي ستبقى حاضرة وتنتصر انواع الاغنية العراقية التي يتباهى بها المشهد الغنائي عموماً والريفي خصوصاً ، وفي وقت تعاني فيه رموز الفن والثقافة من الراحلين التهميش وعدم الاحتفاء بهم بمناسبة ذكرى رحيلهم وأن استذكرت من قبل منظمات ومنتديات ومؤسسات فدائماً ماتكون خجولة ولاترتقي الى المسيرة الطويلة للراحل وماقدمه من منجز ابداعي خلال حياته الفنية .



داخل حسن في وصلة غنائية

أغنية تلائم طوره الغنائي فتقبلها شاكرًا وكان مطلعها يقول:(بس امن الدعم تبجين بعيويني عالاحباب دميج جرح اخفوني مو كلبي يحبهم ابد ما خان ودهم وسارخص فسمن ظلام المطرب الراحل داخل حسن تفتح لنا الكثير من صفحات الذكريات المطوية في كتاب الزمن فهي تنوهج في قلوبنا مزيد من الشوق والحزين عندما تمر باسماعنا فتعيدنا إلى أيام الزهو والشباب حين كنا طلاباً نحمل كتبنا بين البساتين والمروج الأخضر خاصة أيام الامتحانات النهائية في المرحلة المنتشرة في مدننا الحبيبة عندما ينشر الغروب بساطه الوردى على الأفق وتبدأ الشمس رحلة المغيب ساحبة اذبالها بعد رحلة يوم حافل من حياتنا فيحين موعد عودتنا إلى منازلنا حاملين معنا كتبنا بعد جولة من الدراسة والإستمتاع بمناظر الطبيعة الساحرة التي تمنحنا لوناً من الفرح الغامر ونحن نترنم باغنيات الراحل داخل حسن التي ترافقنا في طريق العودة وتوصلنا إلى بيوتنا فكانت (اهنا بمن جنبه أوجنت جنبه او وكفنه ابيابك) ترافقنا في طريق العودة واحياناً نعود على أنغام (جان الحي حلو ابعيني وارباضه تغنيلي من جنتوا ابربويع ائو اوجان الكوت زاهيلي) نغم، كانت احياناً جميلة زاهية في ظل التآلف الإجتماعي العميق وروابط المحبة التي تغمر الجميع بقميمها الصادقة وإنسانيتها النبيلة التي تتحدى عواصف الزمن.

15 كانون الثاني (يناير) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/20.Issue 5938 Wednesday 17/1/2018